جعله الرسول «قائدًا على كثير من السرايا»

أبو عبيدة بن الجرّاح ... «أمين الأمة»

هو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال الفهري القرشي ويكنى بأبي عبيدة. أحد السابقين الأولين إلى الإسلام أسلم على يد أبي بكر الصديق في الأيام الأولى للإسلام. وهاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية. وقال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن لكل أمة أمينا وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجرّاح».وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة.

النشأة والإسلام

ولد أبو عبيدة بن الجراح عام 584 (40 قبل الهجرة) اسمه الكامل هو عامر بن عبدالله بن الجراح بين هلال الفهري القرشي، ولقب بعدة القاب منها: أمين الأمة، وأمير الأمراء، وفاتح الديار الشامية. كان أبو عبيدة بن الجراح من السابقين الأولين إلى الإسلام، فقد أسلم في اليوم التالي لإسلام أبي بكر، وكان رجلا نحيفا معروق الوجه، خفيف اللحية، طوالا، أجنأ (في كاهله انحناء على صدره)، أثرم (أي أنه قد كسرت بعض ثنيّته).شهد الناس له بالتقوى والزهد وحسن العبادة، وروى 14 حديثا عن النبي محمد، الذي قال عنه: نعم الرجل أبو عبيدة. بعد وفاة النبي جاء من يبايعه على الخلافة لكنه رفض، وقال: أتبايعونني وفيكم أبو بكر الصديق؟.

الهجرة

هاجر أبو عبيدة مرتين: مرة إلى الحبشة ومرة إلى المدينة المنورة. ولا يُعرف ترتيب أبي عبيدة بين السابقين إلى الإسلام، ولكن ابن هشام في السيرة ذكره في عُصبة أسلمت بعد ثمانية نفر سبقوا إلى الإسلام، والأرجح أنهم لم يُسلموا في يوم واحد، بل أسلموا متفرّقين في أيام، وكان ترتيبهم بأجمعهم بعد الثمانية السابقين، وقبل مَن ذُكر بعدَهم. ويُعد أبو عبيدة من السابقين الأولين إلى الإسلام، فهو ممن التقاهم النبيُّ محمدٌ في دار الأرقم قبل أن يبلغ المسلمون أربعين رجلاً، وهو صاحبُ النبي من أول الدعوة، وحفظ القرآن منذ تباشير فجره الأولى، وأوذي في سبيل الله فصبر، ونقل ابن سعد أنه هاجر إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية. وقال الذهبي: «إن كان هاجَرَ إلى الحبشة فإنه لم يُطل بها اللّبث». وهاجر أبو عبيدة من مكة إلى المدينة المنورة، فنزل على كلثوم بن الهدم الأوسي، وبعد وصول النبي محمد إلى دار الهجرة، آخى بين المهاجرين والأنصار، وقد روى مسلم في الصحيح عن أنس بن مالك: أن رسول الله آخى بين أبي عبيدة بن الجراح وبين أبي طلحة (زيد بن سهل بن الأسود الخزرجي).

صفات ومواقف

روى البخاري والمسلم عن أنس بن مالك أن النبي محمداً قال: "إن لكل أمة أميناً، وإن أميننا أيتها الأمة: أبو عبيدة بن الجراح". وقال ابن حجر العسقلاني: "والأمين هو الثقة الرضي، وهذه الصفة وإن كانت مشتركة بينه وبين غيره لكنّ السياقَ يُشعر بأن له مزيداً في ذلك، لكن خصّ النبيُّ كل واحد من الكبار بفضيلة ووصفه بها، فأشعر بقدر زائد فيها على غيره، كالحياء لعثمان، والقضاء لعلي ونحو ذلك". وروى مسلم عن أنس: أن أهل اليمن قدموا على رسول الله فقالوا: "ابعث معنا رجلاً يعلمنا السنة والإسلام"، قال: فأخذ بيد أبي عبيدة فقال: "هذا أمين هذه الأمة". وروى ابن سعد عن مالك أن عمر أرسل إلى أبي عبيدة بأربعة آلاف أو بأربعمئة دينار، وقال للرسول: "انظر ما يصنع بها"، قال: فقسمها أبو عبيدة، قال: ثم أرسل إلى معاذ بمثلها، فقسمها إلا شيئاً قالت له امرأته نحتاج إليه، فلما أخبر الرسول عمر قال: "الحمد لله الذي جعل في الإسلام من يصنع هذا". لما جاء وفد نجران من اليمن إلى الرسول وطلبوا منه أن يرسل معهم رجلا أمينا يعلمهم، فقال لهم: " لأبعثن معكم رجلا أمينا، حق أمين " فتمنى كل واحد من الصحابة أن يكون هو، ولكن النبي اختار أبا عبيدة، فقال: «قم يا أبا عبيدة «. وروى الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: «نِعْمَ الرجل أبو بكر، نعم الرجل عمر، نعم الرجل أبوَ عبيدة بن الجراح، نعم الرجل أسيد بن حضير، نعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس، نعم الرجل معاذ بن جبل، نعم الرجل معاذ بن عمرو بن الجموح». وعن عبدالله بن شقيق قال: قلت لعائشة رضي الله عنها: أيُّ أصحاب رسول الله كان أحب إلى رسول الله؟ قالت: أبو بكر. قلت: ثم مَن؟ قالت: عمر. قلت: ثم من؟ قالت: ثم أبو عبيدة بن الجراح. قلت: ثم من؟ قال: فسكتت. يذكر أنه في السنة الثامنة للهجرة أرسل الرسول عمرو بن العاص إلى أرض بَلِيّ وعُذرة في غزوة ذات السلاسل، ووجد عمرو بن العاص أن قوة أعدائه كبيرة، فأرسل إلى الرسول يستمده، فندب النبي الناس من المهاجرين الأولين، فانتدب أبو بكر وعمر في آخرين، فأمّر عليهم أبا عبيدة بن الجراح مددًا لعمرو بن العاص، فلما قدموا عليه، قال عمرو: أنا أميركم، فقال المهاجرون: بل أنت أمير أصحابك، وأبو عبيدة أمير المهاجرين، فقال: إنما أنتم مددي. فلما رأى ذلك أبو عبيدة، وكان حسن الخُلق، متبعًا لأمر رسول الله وعهده، فقال: تعلم يا عمرو أن رسول الله قال لي: "إن قدمت على صاحبك فتطاوعا"، وإنك إن عصيتني أطعتك. ولم يتخلف أبو عبيدة عن غزوة غزاها النبي، وكانت له مواقف عظيمة في البطولة والتضحية، ففي غزوة بدر رأى أبو عبيدة أباه في صفوف المشركين فابتعد عنه، بينما أصر أبوه على قتله، فلم يجد الابن مهربًا من التصدي لأبيه، وتقابل السيفان، فوقع الأب المشرك قتيلا، بيد ابنه الذي آثر حب الله ورسوله على حب أبيه ، فأنزل الله فيه هذه الآية: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ . [المجَادلَة – 22] . وقالَ عمر بنَ الخطابَ لجلسائه يومًا: تمنوا، فقال أحدهم: أتمنى أن يكون ملء هذا البيت دراهم، فأنفقها في سبيل الله. فقال: تمنوا، فقال آخر: أتمنى أن يكون ملء هذا البيت ذهبًا، فأنفقه في سبيل الله، فقال عمر: لكني أتمنى أن يكون ملء هذا البيت رجالاً من أمثال أبي عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وحذيفة بن اليمان، فأستعلمهم في طاعة الله. وكان عمر يعرف قدره، فجعله من الستة الذين استخلفهم، كي يختار منهم أمير المؤمنين بعد موته. وكان أبو عبيدة – رضي الله عنه – كثير العبادة يعيش حياة القناعة والزهد، وقد دخل عليه عمر وهو أمير على الشام، فلم يجد في بيته إلا سيفه وترسه ورحله، فقال له عم: لو اتخذت متاعًا (أو قال: شيئًا) فقال أبو عبيدة :يا أمير المؤمنين، إن هذا سيبلِّغنا المقيل (سيكفينا).

قائد عسكري

كان أبو عبيدة على خبرة كبيرة بفنون الحرب، وحيل القتل لذا جعله الرسول (قائدًا على كثير من السرايا)، وقد حدث أن بعثه النبي أميرًا على سرية سيف البحر، وكانوا ثلاثمائة رجل فقل ما معهم من طعام، فكان نصيب الواحد منهم تمرة في اليوم ثم اتجهوا إلى البحر، فوجدوا الأمواج قد ألقت حوتًا عظيمًا ، يقال له العنبر ، فقال أبو عبيدة : ميتة ، ثم قال : لا ، نحن رسل رسول الله وفي سبيل الله ، فكلوا ، فأكلوا منه ثمانية عشر يومًا. أيام الخلافة شارك أبو عبيدة في غزوتيّ بدر وأُحُد والحديبية، وأرسله رسول الله –صلّى اللهُ عليهِ وسلّم– على سريّة جيش ذات الخبط، كما أرسله والياً إلى أهل نجران، وكان أحد الأمراء في بلاد الشام بعد أن عزل عمر بن الخطّاب خالد بن الوليد، فوضع أبا عبيدة مكانه، وكان نَقش خاتم أبي عبيدة: "الخُمُس لله». وقال ابن حجر: "كان فتح أكثر بلاد الشام على يده"، كما جعله أبو بكر في خِلافته على بيت مال المسلمين، وجعله عمر بن الخطّاب أمير الأمراء في الشام، وكان أمير الجيش يوم فتح دمشق، وبعثه الرسول خلف عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل ليمدّه بالجيش.

وفاته

أرسل عمر بن الخطاب جيشًا إلى الأردن بقيادة أبي عبيدة بن الجراح، ونزل الجيش في عمواس بالأردن، فانتشر بها مرض الطاعون أثناء وجود الجيش وعلم بذلك عمر، فكتب إلى أبي عبيدة يقول له: إنه قد عرضت لي حاجة، ولا غني بي عنك فيها، فعجل إلي. لما قرأ أبو عبيدة الكتاب عرف أن أمير المؤمنين يريد إنقاذه من الطاعون فتذكر قول النبي: "الطاعون شهادة لكل مسلم". فكتب إلى عمر يقول له: إني قد عرفت حاجتك فحللني من عزيمتك، فإني في جند من أجناد المسلمين، لا أرغب بنفسي عنهم. فلما قرأ عمر الكتاب، بكى، فقيل له: مات أبو عبيدة؟! قال: لا، وكأن قد (أي:وكأنه مات). فكتب أمير المؤمنين إليه مرة ثانية يأمره بأن يخرج من عمواس إلى منطقة الجابية حتى لا يهلك الجيش كله، فذهب أبو عبيدة بالجيش حيث أمره أمير المؤمنين، ومرض بالطاعون، فأوصى بإمارة الجيش إلى معاذ بن جبل، ثم توفي في طاعون عمواس وعمره 58 سنة، وصلى عليه معاذ بن جبل، ودفن ببيسان بالشام، سنة (18هـ) ويوجد ضريح أبي عبيدة بن الجراح في بلدة دير علا في منطقة الأغوار الوسطى شمال غرب الأردن. كما يوجد حاليا "مزار أبي عبيدة" في "غور البلاونة" على الطريق العام الذي يقطع غور الأردن من الشمال إلى الجنوب، وعلى بعد أربعين ميلاً من مدينة السلط. وكان الظاهر بيبرس قد بنى على قبر أبي عبيدة مَشهداً، وأوقف عليه وقفاً ريعه للمؤذن والإمام.